قراءة في سيكولوجية العقلية الخرافية

ميسوم ليلى
طالبة دكتوراه تخصص علم النفس
جامعة أبو بكر بلقايد . تلمسان.

مقدمة:

لا يكاد يخلو أي مجتمع سواء كان تقليدي أو عصري من وجود المعتقدات الخرافية ، فهي تمثل جزء لا يتجزأ من ثقافته الشعبية ، بما تحمله من عادات وتقاليد وأعراف وقيم ، وهي التصديق الجازم بفكرة أو موضوع أو شيء لا يحتوي على أساس علمي منطقي أو موضوعي ، فهي معتقدات مخالفة للمنطق والواقع ، ويغلب عليها طابع الخيال والأوهام واللاواقعية في تفسير الأشياء ، وتشمل مواضيع تتعلق بالصحة والمرض ، والتفائل والتشاؤم ، العين والحسد ، والسحر والمس ، والتطير أو "الطيرة" كما تسمي في المعتقد الشعبي الجزائري ، رغم أنه يوجد مثل شعبي يؤكد عدم صحة ومفعول التطير مفاده أن (العين صح والطيرة باطلة) ، إلا أن التفكير التطيري لا يزال يأخذ حيزا كبيرا في العقلية الخرافية .

أن المعتقد الشعبي هو الذي لا يؤمن به العقل الراقي ، وهو المتعلق بالعالم الخارجي والعالم فوق الطبيعي [1] ، فرغم التطور العلمي والتكنولوجي الحاصل في المجتمعات العربية والغربية ، وما ينتج عنه من وجود التفكير العلمي الذي يعتمد على المنطق والحقائق العلمية في تفسير ظواهره ، إلا أن ظهور وانتشار الخرافات والعقلية الخرافية ما زال يأخذ حيز لا بأس به من معتقدات وثقافات هذه الشعوب ، ففي دراسة للجوهري (1972) حول الجن في المعتقد الشعبي المصري، أوضح أن المعتقدات الدائرة حول الجن تعود في جانب منها إلى صورة اعتقادية قديمة، كما أوضح أن هناك ارتباطا بين المعتقدات الشعبية، والمعتقدات الدينية، فهذه المعتقدات الشعبية ما هي إلا نتاج لترسب الآلاف من المعتقدات المتجمعة من الديانات القديمة، وبقيت تلازم الفرد المصري رغم محاربة الدين الرسمي له[2].

إن المعتقدات الدينية تختلف عن الأنواع الأخرى من المعتقدات في تأكيدها على قوى ما فوق الطبيعية [3]، والمعتقد هو التقبل الوجداني لقضية أو خبر يحتمل الصدق حسب ما يوجد لدى الفرد من أسباب وحجج، والحجج في المعتقدات غالبا ما يصعب فحصها، وتشتمل على درجات متفاوتة من اليقين الذاتي، أي أنها تختلف في قابليتها للتحقيق [4] ، وقد كشفت دراسة خليفة (1995) أن أهم المعتقدات

الخرافية الشائعة في المجتمع الكويتي كانت تدور حول موضوع التفاؤل والتشاؤم، ثم تربية الأطفال، ثم مجال الصحة والمرض، وبعده موضوع الحمل والولادة ، وموضوع الحسد، ثم موضوع المحرمات وأنماط السلوك غير المرغوب فيها ، ووجد أن هناك فروقا بين أفراد العينة في كل من متغيري الجنس والمستوى التعليمي[5] .

ويشير الهلي(2010) أن أكثر المعتقدات الخرافية شيوعا وانتشارا في التنشئة الاجتماعية لأبناء منطقة ورقلة بالجزائر هي المعتقدات الخرافية التي تدور حول موضوع السحر، ولا يعني هذا أن بقية الأفكار الخرافية ضئيلة الانتشار، بل على العكس فهي منتشرة بشكل مقلق يدعو إلى الاهتمام للتوصل إلى حلول تحد من انتشارها وتمحوها، ولا يكون ذلك إلا بنشر العلم وتعميم التعلم ، كما وجد أن الاناث أكثر ايمانا واعتقادا بالأفكار الخرافية من الذكور من أبناء منطقة ورقلة ، وأن الأفراد الذين يسكنون في المناطق الريفية أكثر تصديقا بهذه الأفكار الخرافية من الأفراد الذين يسكنون في المناطق الحضرية كما اتضح أنه كلما زاد المستوى التعليمي، قلت وغابت المعتقدات والأفكار الخرافية[6].

أما في المجتمعات الغربية فتشير بعض الدراسات إلى انتشار المعتقدات الخرافية بين أفرادها ، ولكن ليس بنفس الدرجة والحدة الموجودة في المجتمعات العربية ، لأن الخرافة تنتشر أكثر بين المجتمعات المعروفة بتناقضاتها الثقافية والفراغ الثقافي والديني وانتشار الجهل والأمية ، ففي دراسة لفلت وآخرون (Feltt el all,1994)حول علاقة نمط تفكير الفرد ومعارفه، بتوافقه النفسي والاجتماعي، حيث تبين أن نضج التفكير يرتبط بغياب التفكير الخرافي، وأن ارتفاع ظهور الأعراض الاكتئابية يرتبط بغياب التفكير البنائي[7] ، ويتضح أن المعتقدات الخرافية وانتشار العقلية الخرافية له أخطار وأضرار نفسية ، كما أنه يؤثر على أنماط التنشئة الاجتماعية وله دور في بروز بعض أشكال الاضطراب النفسي، لذا سنعرض في هذا المقال بشيء من التفصيل مفهوم الخرافة والتفكير الخرافي، وطريقة تكونها ، وأسباب انتشارها ، وصفات الشخصية الخرافية ، وأثر المعتقدات الخرافية على التنشئة الاجتماعية وظهور الاضطراب النفسي.

1 . مفهوم الخرافة والتفكير الخرافي.

أ . مفهوم الخرافة لغة:

يشير المعني اللغوي للخرافة إلى اسم رجل من عذره استهوته الجن، فكلن يحدث بما رأى فكذبوه وقالوا : حديث خرافة. والخرف يشير إلى فساد العقل من الكبر ، ويشار إلى الخرافة بالخزبلة [8].

ب . مفهوم الخرافة اصطلاحا:

تعرف الخرافة بأنها: " جملة الأفعال أو الألفاظ أو الأعداد ، والتي يظن أنها تجلب الحظ أو النحس ،والخرافات عبارة عن رواسب معتقدات دينية قديمة ، لا تجد اليوم سندا لها من المعتقدات الدينية السائدة أو من الحقائق المقررة ، كما يدل الاصطلاح على الارتباط بمبدأ أو منهج من غير نقد أو تحليل"[9].

ويعرف الزهران والحكمي(2006) الخرافة بأنها: "مجموعة من الاعتقادات والممارسات التي تخالف الحقائق ، ولا يمكن ربط مقدماتها بنتائجها بطريقة موضوعية، يتمسك بها الأفراد ويعتقدون بصحتها بصورة شبه مطلقة ، ويعتمدون عليها في تفسير بعض ما يقع لهم من أحداث في حياتهم اليومية "[10].

ويعرفها جيمس دريفر (Drever James) بقوله :" الخرافة هي عقيدة أو نسق من العقائد قائمة على أساس صلة خيالية بين الأحداث ، وغير قابلة للتبرير على أساس عقلي(Rational grounds) ، وهي مجموعة من العقائد في المؤثرات والقوى التي يقبل وجودها دون نقد ، وتشير الخرافة في الفرد إلى نزعة قبول مثل هذه المعتقدات والتصرف على أساس منها "[11].

ويعرف يونج (Young .K) الخرافة بأنها : " اعتقاد راسخ في القوى فوق الطبيعية ، وفي الإجراءات السرية أو السحرية المنحدرة من التفكير الخيالي، والتي أصبحت مقبولة اجتماعيا "[12].

ويعتبر دوجلاس هل (Hill Doglas) أن : " الخرافة جزء من الفلكلور الشعبي ، وهي في نظره فرع غير شرعي من التاريخ الديني ، ويعتبر الخرافات عبارة عن طرق للتنبؤ والتجنب أو الحكم في بعض الأزمات ، عن طريق وسائل فوق طبيعية و غير عقلية ، وكانت هذه هي نظرة أجدادنا القدماء للسحر..."[13].

ويعتبر دافيد كرتشي وريتشارد كراتشفيليد (R.Crulchfied & D. Kreech) أن المعتقدات الخرافية (Superstitions) هي تلك المعتقدات التي برهنت أنها على خلاف مع الحقائق الموضوعية (Objective facts) ، والتي يحتمل أن يشارك في الاعتقاد بها عدد كبير من أبناء المجتمع ، والتي تتضمن قضايا تصف ظواهر تسمح بنسب بعض الظواهر إلى أسباب فوق طبيعية (Supernatural causes) ، مثل القضاء والقدر (Fate)، أو الحظ (Luck) ، أو الشيطان(Devil) " [14].

ج. مفهوم التفكير الخرافي.

يرى العيسوي أن التفكير الخرافي يغلب عليه أن يكون غيبيا وميتافيزيقيا ، كما يستند إلى أمور كالأرواح ، والشياطين ، والسحر، والحظ ، أو(المثل) في الفكر الفلسفي ، والوصفات البلدية أو الشعوذة والأمثال الدارجة [15]. كما يؤكد أن " العقلية الخرافية هي التي يكون للخرافة فيها دور بارز في تفسيرات الأحداث وتعليلها وفي نقل المعلومات ، وهي التي تحاول تحقيق أهداف الفرد والمجتمع بأساليب بعيدة عن العلم والعقل والمنطق" [16] ، ويحدد العيسوي مجموعة من الفروق بين التفكير العلمي والتفكير الخرافي نحددها فيما يلي [17]:

الجدول رقم(1): يبين المقارنة بين التفكير العلمي والتفكير الخرافي.

	التفكير العلمي	التفكير الخرافي
المبدأ	يقوم على أساس إدراك علاقة العلية أو السببية العلمية .	يُرجع الظواهر الطبيعية إلى أسباب غير طبيعية.
الهدف	. رغبة الإنسان في اختبار صحة أفكاره وإخضاعها للقياس التجريب، والملاحظة . اختراع بعض الأساليب التي تضبط انحرافاته وتحيزاته.	. تفسير الظواهر التي تحيط بالفرد بغية التحكم بها وضبطها ، وذلك بغض النظر عن مدى صحتها أو ملامتها له وللمجتمع (كالسحر والتعزيم مثلا). . يزيل الغموض، والقلق، ويدفع المخاطر والأضرار.
الخصائص	. يمتاز بالمرونة والقابلية للتغيير، كما ويعتمد على الاحتمال. . حقائقه نامية ومتطورة بحكم تراكم المعلومات. . عدم الجزم في الظواهر والنظريات، وإمكانية إرجاء الحكم فيها حتى يأتي العلم بالجديد. . وجود صلات وثيقة بين الحقائق العلمية، فإذا حدث تغير في أحد حقائق العلم أو نظرياته، تبع ذلك إعادة النظر في غيرها من النظريات.	. ينظر في الظواهر بشكل حاسم ونهائي ، وإن كان خاطئا؛ فهو يميل إلى التعميم والإطلاق . . يكتفي بمجرد الربط بين ظواهر الأشياء المباشرة، أي بين بدايات ونهايات الأحداث. . الاعتماد على فكرة الحركة الذاتية ، فهو يكتفي بمجرد اتخاذ الأسماء كعلل مفسرة لحدوث الأشياء .

أما التفكير التطيري فهو تفكير فج بدائي يسيطر عليه الخوف والطمع والرغبة والرهبة ، وهو ينتمي تاريخيا ومنطقيا إلى عالم يسوده السحر والشعوذة ، وتجرى فيه الأمور بطريقة خفية غير مفهومة ..ويمكن أن يؤدي ، إذا اشتد الأيمان به ، إلى الوهم واختلال العقل والجريمة ..ومثال ذلك التشاؤم من صوت البوم أو رؤية الغراب ، و منطق هذه المعتقدات يقوم على القياس التمثيلي الضعيف المرتكز على التشابه الموهوم بين السبب والنتيجة [18].

2 . كيف تتكون الخرافات ؟

يمكن معرفة كيفية تكون الخرافات عن طريق تتبع الأسباب التي أدت إلى نشأة كل خرافة من الخرافات ، فالارتباط العرضي بين بعض الأحداث يؤدي إلى تكون الخرافة والإيمان بها ، فمثلا التشاؤم من البوم قد يرجع إلى أنه يسكن في الأماكن الخربة ويظهر ليلا ، كما قد يرجع النظر إلى المرأة على أنها كائن محرم أو نجس إلى ارتباطها بدم الحيض ، وارتباط هذا الأخير بالحوادث والقتل والكوارث ..إلخ .

ويمكن إرجاع بعض الوصفات الشعبية وانتشارها إلى مجرد الارتباط العرضي ، فمثل قد يجرب المريض الذي يتألم من شدة الوجع أي مادة دوائية لكي تخفف ألآمه ، وقد يحدث أن يكون المرض في طريقه إلى الزوال تلقائيا بعد انتهاء دورته ، فيربط بين تناوله هذه المادة وبين شفاءه ، ومما يساعد في انتشار هذه الخرافات ، أن تتضمن بعض الوصفات الشعبية بعض العقاقير والنباتات التي تحتوى على مواد ذات فائدة طبية ، فيلجأ الناس غلى تعميم استعمالها ، وهذا موجود أيضا في الأوساط ذات المستوى التعليمي المرتفع ، خصوصا عندما ييأس المريض من الشفاء بعد تجريب مختلف العلاجات الأخرى ، فلإنسان في وقت الشدة يبحث عن أي مخرج حتى وإن كان خرافيا[19] .

والأسطورة هي مرحلة متقدمة أو المرحلة الأكثر نضجا من مراحل نمو الخرافات ، خاصة الأدبية منها أو القصصية ، والتي عادة ما تتوارثها الأجيال عبر مر العصور[20] ، ويرى لويس سبنس(Louis Spence) أن الأسطورة تعبر عن دوافع داخلية في شكل موضوعي ، تغلب عليه طبيعة الإنسان ، والغرض من هذا التقائه ببعض الأحاسيس الداخلية كالخوف ،القلق ، الحيرة ، وجعلته يدخل في صراعات عنيفة نراه خلالها يقدس شيئا و ينبذ آخر....[21].

الخرافات تختلف وتتنوع باختلاف وتنوُع مصادرها ، هناك الخرافات الموروثة أي التي تتوارثها الأجيال ، وهناك الخرافات العقائدية كخرافة عبادة البقر والأصنام ، وهذه سببها الفراغ العقائدي وعدم المعرفة ، كما توجد خرافات التعميم والتنميط ، فمثلا إذا كان شخصا أصلع الرأس ذكيا أو عبقريا ، قام البعض بالتعميم ، حيث يرون أن الصلع دليل الذكاء ، وكل أصلع هو بالضرورة شخص ذكي، وهناك الخرافات الأدبية والشعرية ، والتي يعتبر خيال الكاتب أو الشاعر مصدرا لها ، بهدف تحقيق هدفا تربويا أو علميا أو عقائديا ، وأضاف الباحث أيضا ما يسمى بخرافات التقاليع والصرعة (myth Fad)، حيث تنتشر الخرافة بشكل كبير ولكن سرعان ما تبدأ في الاندثار بلا عودة[22] .

3 . أسباب انتشار الخرافة .

يقول أبو قحف (1999) : " إننا نعيش في مجتمع غارق في الثنائيات ، فنحن نتعامل مع الحقائق والخرافات ، والمعقول واللامعقول ، والأبيض والأسود ، والفضيلة والرذيلة ، والواقع والأسطورة ..وغيرها " ، فلا يوجد مجتمع في العصر الحالي يخلو تماما من الخرافات ، مهما بلغ من تقدم علمي ، وإن كانت ذاهبة للزوال بعد اقتحام العلم والتجريب لمضمون هذه الخرافات، كما أن ما يعتبره شعب معين من حقائق ؛ قد يعتبره شعب آخر خرافة كنظرية النشوء والارتقاء لـ "داروين" وفيما يلي أهم هذه الأسباب [23] :

. الخرافات تتعلم بالاكتساب والاحتكاك ، وهذا ما يجعلها في استمرار .

. تتوارث بعض الخرافات عبر الأجيال ، وهذا لا يعني مصداقيتنا ،وإنما تنتقل بفعل اللاشعور الجمعي الذي تحدث عنه يونغ(Young)، والذي يراه أنه عام بين الناس ، وهو ينتج عن التأثير الانفعالي التراكمي للخبرات الإنسانية ، أي ردود الأفعال الانفعالية المكررة لأفكار قد لا تكون واقعية ، إنها الاستعداد المسبق للاستجابة بطريقة محددة ، ورثت عبر الأجيال ، وهو يتكون من النماذج البدائية الجمعية التي تكونت من تراكم أفكار ومعتقدات المجتمع عبر الأجيال .

. التناقضات الثقافية والفراغ الثقافي ؛ يعتبر حقلا جيد لنمو الخرافات وانتشارها .

. قصور المعرفة، والجهل، وانخفاض الوعي الديني ، وضعف الإيمان وسطحيته .

. الاهتمام بالشكل على حساب المضمون، وعدم استخدام العقل والمنطق.

. اكتساب الخرافة في بعض الحالات صفة القدسية ، وهذا ما يجعلها صعبة المقاومة .

. يصعب إثبات عكس الخرافات، لأنها بعيدة عن القياس والإدراك، ومن ثم تأتي صعوبة التطبيق.

. فقدان الاعتقاد بالقيم الأخلاقية كالولاء، والصدق، والأمانة، والفراغ، مما يساهم في التمهيد للتهيؤ لإطلاق أو قبول الخرافة.

. إخفاق الفرد المستمر للتكيف مع جماعة العمل، أو الأسرة ، أو الأصدقاء ، أو المجتمع ، مما يوصل الخرافة إلى مرحلة الاستقرار الشعوري لدى الفرد .

. سلب الحرية والانحياز اللاإرادي لنوع معين من السلوكيات أو الأفكار، وفشل الفرد في إدراك التناقض في الفكر والممارسة.

. عدم الإجماع على نظام معين للقيم وقواعد السلوك، والذي يعتبر شرط أساسي لإرساء الثقافة.

. غياب التوحيد الثقافي . أي في حالة التنوع الثقافي . فإن الصراع يؤدى إلى انهيار البناء الكامل ويفتح ثغرة كبيرة لظهور وانتشار الخرافات .

4 . صفات الشخص الخرافي .

يذكر العيسوي (1983) بعض الصفات والمميزات التي تمتاز بها الشخصية الخرافية أو ذات التفكير الخرافي نذكرها فيما يلي [24]:

- الجمود وصعوبة الإقناع.
- تتميز بالبساطة، والسذاجة، وقلة التعليم والثقافة.
- شخصية لا تفهم الدين على حقيقته، وهي متعصبة دينيا.
- تؤمن بالخرافات تلقائيا دون تفكير أو نقد ، كما تؤمن بالكائنات غير الملموسة .
- تشبع حاجاتها المادية والنفسية عن طريق الخرافة .
- ميالة كثيرا للتأثر بأسرتها.
- شخصية ملتصقا بمجتمعها، ولم تتفتح بعد على المجتمعات الأخرى.
- شخصية ضيقة الأفق، وصعب النقاش معها في الأمور الخرافية.
- تتسم بالسطحية ، وتصدق كل ما يقال لها، وإيمانها صارم، وخرافي، ولا يقبل الجدل.
- شخصية بعيدة عن الواقعية والموضوعية، وبعيدة عن الروح العلمية.
- شخصية ميالة إلى أن تكون كبيرة السن، متواكلة، وهي شخصية في بساطة القروي.

5. المعتقدات الخرافية وأثرها على التنشئة الاجتماعية وظهور الاضطراب النفسي.

تساهم المحددات الدينية بشكل كبير في تشكيل وتبلور الاضطراب النفسي ، وبما أن المعتقدات تشكل الجزء الأكبر من الديانة ؛ باعتبار أن التفكير الديني يحتوي على المعتقدات والطقوس الدينية، وأن الخرافات هي عبارة عن رواسب معتقدات دينية قديمة ، فإن الدين يعتبر محدد أساسي في تشكيل الاضطراب النفسي ، وهذا ما يؤكده روجي باستيد (Roger Bastide) حينما أشار إلى أهمية العامل الديني في إدماج الفرد داخل الجماعة ، وفي حمايته من التعرض للاضطرابات النفسية والعقلية ، حيث تزداد وترتفع كلما تلاشى التنظيم داخل الجماعة الدينية ، وكلما كان النمط التربوي السائد فيها مبني على التسلط [25] ، وبما أن ضعف أو انخفاض الوعي أو الوازع الديني ، يعتبر من أهم الأسباب للتعرض للكثير من الأمراض النفسية ، كما أنه من أهم أسباب انتشار الخرافات أيضا ، فإن الايمان والتصديق بالخرافات يعتبر عامل مهم في تشكيل الأرضية المتينة لظهور بعض الأمراض النفسية .

وهذا ما أشارت إليه دراسة عويطة علي (1993) التي توكد أن أهم الخصائص الإكلينيكية المميزة للباثولوجية العقلية المغاربية تشتمل على موضوعات الاضطهاد ، والهذيان، والتجسيم (La somatisation)، وتلونها بعناصر هلوسية لغوية وبصرية ، فالوجود المكثف للمعتقدات الخرافية (سحر، أو

عين شريرة ، أو تسميم..إلخ) يتعارض بشكل واضح مع الندرة الفائقة لموضوعات الشعور بالذنب ، والدونية ، والأفكار المرتبطة بلوم الذات ، وذلك على مستوى كل أصناف المرض العقلي ، سواء تعلق الأمر بالحالات العصابية أو الذهانية الحادة أو المزمنة ، والهذيان الذي يطبع كل الحالات المرضية في المغرب العربي ليس محصورا في التصورات والهوامات الخاصة بالفرد كما هو الشأن في الغرب ، وإنما يعكس الخلفية الثقافية التي تتميز بهلوسة الواقع ، أو إدراك بدون موضوع ، كما تعتبر خاصية التجسيم واحدة من أهم ثوابت الخطاب الإثنوبسيكياتري (ethnopsychiatrie)عند المريض المغربي ، فهي تصبغ معظم اللوائح النفسية المرضية ومن بينها الحالة الاكتئابية[26].

وهنا يظهر بوضوح أن المعتقدات الخرافية المتعلقة خصوصا بمواضيع التسمم بالسحر والعين هي التي تميز مواضيع الاضطهاد والهذيان الموجودة عند المرضى النفسيين بمنطقة المغرب العربي.

كما تُرجع التصورات الشعبية أسباب بعض الأمراض النفسية والعصبية إلى معتقدات خرافية كوجود قوى خارقة ، مثل ما أشارت إليه دراسة مقسم المختار (2002) حول " المعتقد الشعبي للأمراض العقلية والعصبية : الصرع الطفولي نموذجا " ، والتي أجريت في مركز للمعوقين بإحدى ولايات الغرب الجزائري(سيدي بلعباس)، بهدف الكشف عن الفروق الموجودة بين التصور الشعبي والنموذج الطبي لأمراض الصرع ، وقد تكونت العينة من103 معالج تقليدي و15 حالة صرع ، ومن أهم نتائج هذه الدراسة أن التصور الشعبي لمرض الصرع يتمثل في وجود قوى غيبية لا مرئية تؤثر عن بعد فتقوم بإحداث المرض (الريح) ، وذلك عن طريق اختراقها لجسم الإنسان والاستقرار في أحد أعضائه كالرأس مثلا ، وهي تُأثر في الإنسان الذي لديه القابلية للمرض ، وتكون الأساليب الوقائية للمعالجين التقليديين بمحاولة إرضاء هذه القوى وعدم إيذائها، ويكون العلاج بطرد هذه الأرواح عن طريق ما يسمى بـ "المنفرات" مثل "الكافور" [27].

إن تأكيد علاقة الايمان بالمعتقدات الخرافية في ظهور الاضطراب النفسي ، أمر يحتاج للكثير من الاجتهادات والمقاربات النفسية ، والاجتماعية ، والأنتروبولوجية ، فالكثير من الباحثين والمختصين يؤكدون على أن انتشار الخرافة والإيمان بها ؛ هو دليل أحيانا على وجود حالة من الفراغ النفسي ، ودليل على فشل الفرد في تحقيق التكيف مع جماعة العمل أو الأسرة أو الأصدقاء أو المجتمع .

والإنسان يشبع العديد من الحاجات المادية والنفسية والثقافية عن طريق الخرافة ، فهي تحقق نوع من الهدنة النفسية للفرد ، وإن كانت غير حقيقية أو لفترة مؤقتة ، أو لا تدوم إلا لفترة قصيرة ، كما أن الفرد يقبلها وينسجها كنوع من التنفيس الانفعالي ، والذي يكون في حقيقة الأمر نوع من خداع النفس بصحة ما يسمع أو يعتقد أو يقول ، ولكن إذا تمكنت منه تحولت إلى مرض نفسي ، كما تستخدم الخرافة أحيانا لتوصيل معلومة أو فكرة لمسؤول ما، أو للغير عموما، كما تستخدم من المنظور الأدبي (قصص

الأطفال والدراما) لإرساء تقليد أو قيمة جديدة أو تعديل في السلوك أو تغيير عادة ، كما توظف الخرافة الأدبية لتغيير معتقدات معينة [28].

والأسطورة هي جزء من المعتقدات الشعبية ، كما أنها تعبر عن قصة مرتبطة بمظهر ديني خرافي ، أي أنها تحتوي على أحداث خرافية ، إذ يشبه أُطُو بانك (Otto Bank) الأسطورة بالحلم ، من حيث كونها مخرجا ومتنفسا يعبر به الفرد عن مجموعة من الدوافع والمشاكل الداخلية المعقدة كالخوف ، والقلق ، والرغبة ، وذلك على شكل صور ورموز، فتتحول من تلقائها إلى موضوع حكاية [29].

ويؤكد إبراهيم بدران أن : " العقلية الخرافية لا تختفي بمجرد الانتقال من بيئة حضارية متخلفة إلى بيئة حضارية متقدمة ، ولا تختفي بمجرد الحصول على شهادة جامعية ، وإنما هي جزء أساسي من التركيب الذهني والنفسي للفرد ، ولذلك يلزم الاهتمام بتربية الأطفال تربية علمية منذ الصغر" [30].

وفي هذا الشأن تشير نتائج دراسة جهودا (G.Jahoda , 1968) في غينيا حول المعتقدات فوق الطبيعية بين طلاب الجامعة ، وجود نسبة عالية من متخلفات المعتقدات التقليدية بين الطلاب ؛ فالتعليم الجامعي ليس له تأثير يذكر على المعتقدات الخرافية ، كما أن إيمان صغار السن بها أكثر من كبار السن ، وترى أن مثل هذه المعتقدات قد رسخت بطريقة انطباعية في ذهن الفرد منذ الطفولة [31].

وهذا ما يؤكده عاطف وصفي (1981) حينما أشار إلى بعض أساليب التنشئة الاجتماعية في القرى المصرية ودورها في تكوين الخرافات ، حيث أكد أن أسلوب تخويف الأطفال كوسيلة من وسائل التربية والتهذيب في فترة الطفولة المبكرة ، يؤدي إلى بذر اتجاهات الغيبية والخرافة ، وتبقى تلك الاتجاهات مع الطفل حتى بعد نموه في مراحل البلوغ ، لأن كثيرا ما يخيف الآباء أطفالهم من العفاريت ، والجن ، والغولة ، والظلام ..إلخ [32].

وفي المجتمع الجزائري مازال يُعتمد في تنشئة الأطفال ، على أسلوب التخويف من خلال سرد القصص حول "الغول" ، والجن ، و"بنسنس" ، والذي يأتي في الظهيرة ليسرق الأطفال، " قُوندَة "، و"ترقُو".. وغيرها من الأسماء . ويستعمل هذا الأسلوب سواء كوسيلة للتربية والردع ، أو لجلب انتباه الطفل ، أو لتحسيسه بالمغامرة والتشويق ؛ لأن مثل هذه القصص قد تكون محبوبة لدى بعض الأطفال ، فيرغبون في سماعها خصوصا قبل النوم ، ولكن هذا الأسلوب قد يكون أساس لزرع الخرافة مبكرا في فكر الطفل .

إن أسلوب تخويف الأطفال بالجن في المجتمعات المغاربية ولاسيما الجزائرية ، يجعلهم يتفادون كل ما من شأنه أن يؤجج غضب هذه المخلوقات ، كما يحرصون على الاهتمام بالنظافة الدائمة ، فالجن هو عالم مرعب ولاسيما بالنسبة للطفل الذي يعتمد في تنشئته على حشو ذهنه بالكثير من الأساطير لإجباره على الالتزام بما يمليه عليه الوسط الأسري والاجتماعي[33] .

خاتمة

يمكن القول أنه لا يوجد مجتمع خال تماما من وجود الخرافات والعقلية الخرافية ، ولكن كلما قل انتشارها وساد التفكير العلمي المنطقي محل التفكير الخرافي اللاواقعي تطور المجتمع على المستوى الروحي والقيمي والاخلاقي والعلمي ، رغم أنها تخدم الانسان أحيانا ، وتحقق له بعض المكاسب النفسية والمادية والثقافية ولكن بصفة مؤقتة ، وسرعان ما تزول وتظهر سلبياتها على التكيف النفسي والاجتماعي للفرد ، وعلى تماسك ثقافية المجتمع ، خصوصا إذا غرست بطريقة انطباعية في ذهن الفرد منذ الصغر من خلال سرد القصص الخرافية ، واستعمال اسلوب التخويف في التربية ، ذلك من شأنه إنشاء الأبناء على العقلية الخرافية في التفكير وتفسير الظواهر ، وبذر اتجاهات الغيبية مما يؤدي إلى ضعف الايمان وانخفاض الوعي الديني ، والصراع والتصادم القيمي والأخلاقي ، وامكانية حدوث بعض الاضطرابات النفسية مثل هذيان الاضطهاد الذي تعتبر المعتقدات الخرافية المتعلقة بالسحر والعين أهم الأسباب الدافعة لحدوثه.

الإحالات و الهوامش .

1 - محمد الجوهري ،"الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية"، (ج1) ، دار الثقافة ، القاهرة ، 1983 ، ص43 .

2 - عبد اللطيف محمد خليفة ، "المعتقدات والاتجاهات نحو المرض النفسي" ، دار الثقافة ، القاهرة ، 1992 ، ص37.

3 - غامري محمد حسن ، " مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة " ، دار المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1991 ، ص126.

4 - الهلي مصباح ،"المعتقدات الخرافية الشائعة في التنشئة الاجتماعية للأبناء وعلاقتها ببعض المتغيرات النفسية والاجتماعية: دراسة ميدانية بمنطقة ورقلة"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات ، ع 9 ، غرداية ، 2010 ، ص 155.

5 - عبد اللطيف محمد خليفة ، "دراسات في علم النفس الاجتماعي "، (المجلد الثاني) ، دار قباء ، القاهرة ، 1995 ، ص 267 .

6 - الهلي مصباح ، مرجع سبق ذكره ، ص167.

7 - عبد اللطيف محمد خليفة ، مرجع سبق ذكره، ص288.

8 - العيسوي عبد الرحمان ، "سيكولوجية الخرافة والتفكير العلمي مع دراسة ميدانية مقارنة على الشباب المصري والعربي" ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1983 ، ص .12

9 - الزهران سعد بن سعيد والحكمي علي بن صديق ، "السحر والشعوذة (دراسة ميدانية على المجتمع السعودي)" ، مركز البحوث والدراسات الإسلامي ، وكالة المطبوعات والبحث العلمي، جدة ، 2008 ، ص16.

10 - نفس المرجع السابق ، ص17.

11 - نفس المرجع السابق ، ص12.

12 - المرجع نفسه، ص14.

13 - العيسوي عبد الرحمن، مرجع سبق ذكره ، ص68.

14 - نفس المرجع السابق ، ص 11.

15 - المرجع نفسه، ص 101.

16 - المرجع نفسه، ص 26.

17 - المرجع نفسه، ص21، 23.

18 - المرجع نفسه، ص 39.
19 - المرجع نفسه، ص18.
20 - أبو قحف عبد السلام وعيتاتي رنا ، " ثقافة الخرافات وإدارة الأزمات (من سلسلة الثقافة الادارية)" ، الدار الجامعية ،بيروت ، 1999 ، ص57 .
21 - سبوح رشيد ، المعتقدات الشعبية في الجزائر ظاهرة العين نموذجا ، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، الجزائر، 2000، ص27.
22 - أبو قحف عبد السلام وعيتاتي رنا ، مرجع سبق ذكره، ص48.
23 - نفس المرجع السابق ، ص 30.
24 - العيسوي عبد الرحمن، مرجع سبق ذكره ، ص101.
25 - بن عبد الله محمد ، "سيكوباتولوجيا الشخصية المغاربية " ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2010 ، ص 74
26 - نفس المرجع السابق ، ص 163. 164. 175.
27 - مقسم المختار، المعتقد الشعبي للأمراض العقلية والعصبية: الصرع الطفولي نموذجا، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم الثقافة الشعبية (فرع الأنثروبولوجيا)، جامعة تلمسان ، الجزائر، 2002 ، ص11.
28 - أبو قحف عبد السلام وعيتاتي رنا ، مرجع سبق ذكره ، ص 48.50.
29 - سبوح رشيد ، مرجع سبق ذكره ، 29 .
30 - العيسوي عبد الرحمان ، مرجع سبق ذكره ، 29.
31 - نفس المرجع السابق ، ص30.
32 - وصفي عاطف، "الثقافة والشخصية: الشخصية ومحدداتها الثقافية"، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص239.
33 - بن عبد الله محمد، مرجع سبق ذكره، ص88.